وعلى أية حال، فإن هذه الثورة لم تؤد إلى توقف حركة التأليف على المنهج القديم في هذا العلم ـ منهج مقاتل ـ فيبدو أن الفكرة لم تلق رواجًا بين المفسرين، وإن كانت ستمثل فيما بعد، اتجاهًا لدى بعض اللغويين في فهم الألفاظ العربية وفي تأليف المعاجم [1].

ومن نماذج تطبيقات الترمذي في كتابه هذا، لفظ الهدى «فقد جاءت على ثمانية عشر وجهًا، فالحاصل من هذه الكلمة: كلمة واحدة فقط، وذلك أن الهدى هو الميل، ويقال في اللغة: رأيت فلانًا يتهادى في مشيته، أي يتمايل، ومنه قوله تعالى: ﴿إنّا هُدْنا إليك﴾ [2] أي ملنا إليك، ومنه سميت الهدية: هدية لأنها تميل بالقلب إلى مهديها، وإن القلب أميرٌ على الجوارح، فإن هداه الله لنوره أي أماله إليه لنوره، اهتدى أي استمال، وقد قال في تنزيله: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾[3] فهذا أصل الكلمة، ثم وجدنا تفسير الهدى:

البيان: فإنما صار الهدى بيانًا في ذلك المكان، لأن البيان إذا وضح على القلب بنور العلم، مدّ ذلك النور القلب إلى ذلك الشيء وأماله إليه.

الإسلام: وإنما صار الهدى في المكان الآخر الإسلام لأنه إذا مال القلب بذلك النور إلى ذلك الشيء الذي تبين له، انقاد العبد وأسلم، ومدّ عنقًا إلى قبوله.

التوحيد: وإنما صار الهدى التوحيد في المكان الآخر، لأنه إذا مال القلب إلى ذلك النور: سكن عن التردد واطمأن إلى ربه فوحّد... » [4].

وهكذا يستمر على هذا النهج في إرجاع المعاني جميعًا إلى أصل واحد، يظن أنه أصل المعنى في اللغة حتى يأتي على الوجوه الثماني عشر للفظ الهدىً ثم يقول مؤكدًا نظريته الأولى «فمرجع هذه الأشياء التي صيرت وجوهًا ذات شعب إلى كلمة واحدة، لأن الهدى: هو ميل القلب إلى الله بذلك النور الذي أشرق به الصدر، فانشرح وانفسح وهو قوله تعالى [5]: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه﴾»[6].

---

(١) انظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج١، ص٣٦٩، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط٣، القاهرة (د.ت) وإبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص٥، الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٤.

(٢) الأعراف: ٥٦. (٣) النور: ٣٥.

(٤) الحكيم الترمذي، تحصيل نظائر القرآن، ص٢٠. (٥) الزمر: ٢٢.

(٦) المرجع نفسه ص ٢٤.